ميلعلا وه

يّقيقحلا كولسلا

نّظلا نسح ةّيمهأ

ةرشع ةسماخلا ةسلجلا - هـ ١٤٢٣ ةنس - يلامثلا ةزمح يبأ ءاعد حرش

اهاقلا ةرضاحم
يّنارهطلا يّنيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا جاحلا الله ةيآ
هرس الله سدّق

@MadrastAlwahy

أعوذُ بالله مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيم
بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرّحيم
و صلَّى اللهُ عَلَى سيّدنا و نبيّنا أبيالقاسمِ محمدٍ
و على آلهِ الطيّبينَ الطّاهرينَ
واللعنةُ عَلَى أعدائهِم أجمعَينَ إلى يومِ الدين

«وَيَقيني بِمَعْرِفَتِكَ مِنّي أن لا رَبَّ لِي غَيْرُكَ و لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ.
اللهُمّ أَنْتَ الْقائِلُ وَ قَوْلُكَ حَقٌّ وَ وَعْدُكَ صِدْقٌ: ﴿وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1]﴿إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحيماً﴾[2]»

إنّ هذه الأمور التي طلبتها منك هذا، والحاجات التي جئت بها إليك، إنّما هي بسبب اليقين الذي أملكه بمعرفتك بي، أي أنّني أعلم كيف هي معرفتك بي، وما هو انطباعك عنّي، وأنك تعلم أنّ ما في ضميري هو أنّه «لَا رَبَّ لِي غَيْرُكَ» وليس لي ربّ سواك. أنت تعلم هذا عنّي، تعلم أنّ هذا هو حالي وفكري، وأنّ هذه المسألة وحدها هي التي تخطر في قلبي. «وَلا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ» لا إله، لا معبود، لا مؤثّر، لا موجود حقيقيّ سواك. «وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ» يا إلهي، أنت واحد، وليس لك في وجودك ووحدتك ندّ ونظير، لا شريك لك. «اللهُمّ أَنْتَ الْقائِلُ وَ قَوْلُكَ حَقٌّ» يا إلهي، أنت بنفسك قلت، وكلامك حق، ووعدك صدق. أنت القائل، فنحن لم نقل هذا، بل أنت قلته. ماذا قلت؟ ﴿وَسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحيماً﴾ أنت قلت بنفسك: اطلبوا من الله، اسألوا من فضل الله، اطلبوا من جوده وعطائه. أنت قلت هذا، إنّ الله رحيم بكم وعطوف عليكم.

مرض سوء الظن: كيف يدمّرنا؟

حسناً، الإمام عليه السلام هنا مطالب، منها أنّه يقول: «يَقِينِي بِمَعْرِفَتِكَ مِنِّي» أي أنا على يقين تامّ بأنّ معرفتك بي هي على هذا النحو، وأنّ هذا هو اعتقادي بهذه المسألة. لأنّ المعرفة التي كوّنها الإنسان عن الآخرين تكون أحياناً معرفة مقلوبة، أي أنّ الإنسان يفرض

1. سورة النساء (٤) الآية ٣٢.
2. سورة النساء (٤) الآية ٢٩.

معتقداته بناءً على تصوّراته عن الآخرين، فيقول لهم: «أنتم هكذا وأنتم كذا» مع أنّهم ليسوا كذلك! فلماذا يقول هذا؟ لأنّه يعتبر ذهنيّاته عن شخص ما الصحيحة.

وكم هي مهمّة مسألة حُسن النيّة تجاه الأخ المؤمن! أن يحسن الإنسان النيّة بأخيه المؤمن. قد لا تكون تلك المسألة قد خطرت ببال الآخر أصلاً، فيأتي هذا ويقول: «إنّ العمل الذي قمت به كان بسبب ذلك الأمر» ثمّ يبني خطّطه على هذا الأساس، ويرتّب عليه الآثار، وينظّم على أساسه حياته وعلاقاته مع الآخرين، وكلّ ذلك مبنيّ على الهواء، لأنّ أساس المسألة خاطئ، وبالتالي فإنّ البناء كلّه سيظلّ معوجًا حتّى الثريا.

قصّة الرسالة الممزّقة: حين يتحول حُسن النيّة إلى إساءة

حدثت مرّة قضيّة بين اثنين وكنت على علم بها. فد قام أحدهما بعمل ما، وكان له فهم معيّن لهذا العمل. وعندما علم الآخر بالأمر، كان له فهم مختلف تمامًا، والله وحده يعلم ما الذي دار في قلبه! كان أحدهم قد كتب رسالة إلى آخر، وعندما رأى ذلك الرجل أنّ الرسالة مسيئة جدًّا، وأنّه لو قرأها أحد قد تسبّب له مشكلة، قام بتمزيقها حتّى لا تقع في يد أحد وألقى بها بعيدًا. لقد اطّلع على مضمون الرسالة، ثمّ مزّقها ورماها حتّى لا يراها أحد، لأنّ الأمر ليس جيّدًا بالنسبة لكاتبها، ومن القبيح أن يقال إنّه كتب مثل هذا الكلام. بعد ذلك، ذهب هذا الرجل وأخبر آخر بما حدث وهو ما لم يكن ينبغي له أن يفعله وقال له إنّه مزّق الرسالة حتّى لا يبقى لها أثر. فذهب ذلك الآخر وأخبر كاتب الرسالة الأصليّ بالقصّة. والله وحده يعلم أيّ مصيبة حلّت به! «لقد أهانني! لقد فعل بي كذا وكذا!». انظروا، ما هي نيّة هذا، وما هو فهم ذاك!

كيف يقتات الوهم على سوء الظن؟

عجيب حقًا! لم يقل في نفسه ولو لمرّة واحدة: لعلّ لهذه القضية وجهًا من الحُسن والصحّة. لم يضع احتمالاً واحدًا ولم يقل: سأصبر حتّى أراه وأسأله عن سبب فعله هذا. لم يخطر هذا الاحتمال في ذهنه أصلاً، وبدأ يكبّر القضية في ذهنه بالاتجاه المعاكس والخاطئ. ثمّ تأتي النفس، فهي لا تجلس هادئة، تبدأ بتنمية أيّ فكرة تأتي إلى الذهن. هذه النفس الموقّرة، نفسي ونفسكم، لا تهدأ أبدًا. وكما قيل: راحتها عدمها. ليتها إذا كانت لا تهدأ، لا تهدأ في اتجاه الصواب والصلاح، لكنّها لا تهدأ في الاتجاه المعاكس. تبدأ بتنمية الفكرة: إذًا، ذلك العمل الذي فعله كان بسبب هذا الأمر. الآن فهمت، وذلك العمل الآخر كان أيضًا لنفس السبب. ويبدأ

دحاو ةبسنب ولو ةحيحص نكتم لهّنأ نيحي ف ،ةلأسملا هذه ىلع ططخلاو لماعلأا لكل طاقسإب .يّجراخ دوجو لهاجلا نكيم ولو ،فلألا ي ف

؟ملعلا لكاشم نم ٩٨% ىقتع اذامل

دعونا نترك مجالاً للاحتمال في أعمالنا، لنقل إنّ هذا العمل الذي يقوم به هذا المسكين له وجه صحيح، نحمله على محمل الصحّة، فقد يكون له وجه صحيح. لماذا نجرّ الأمور دائمًا إلى هذا الاتجاه وذاك؟ ونظائر هذه القضايا إلى ما شاء الله. كلّ المشاكل التي تحدث في الدنيا، إن لم نقل مائة بالمائة، فتسعة وتسعون بالمائة منها أساسه سوء الظنّ وعدم ترك مجال لاحتمال الصحّة في النفس. عندما يسمع الإنسان شيئًا، لا يحمله على محمل الصحّة أبدًا، ولا يترك له مجالاً للصحّة. «لقد قال هذا الكلام، فإذًا هو يقصد كذا وكذا». يا أخي، اذهب خطوتين واسأل، لن يضرّك شيء! اذهب واستفسر، واقبل بما يقوله هو. في أسوأ الأحوال، سيقول: لقد قلت ذلك وأخطأت، أو سيقول: لا، لقد قلت هذا وكانت نيّتي كذا، وهو صحيح. حينها، اتّخذ أنت القرار الذي تراه مناسبًا، إمّا أن تتجاوز وتعفو، أو أن تتّخذ القرار المناسب بناءً على تشخيصك ومصلحتك. أمّا أن يصلني كلام، وأنا لم أرَ ذلك المتكلّم، ثمّ أبني على كلام الناقل الذي قد يكون هو نفسه قد أخطأ في النقل وأرتّب عليه الآثار، وأستنتج النتائج، وأقوم بردّة فعل خارجيّة، فهنا الله وحده يعلم ماذا سيحدث.

ثدحتي تلا لتقلا مئارجلّكو .ةيضقلا هذهو هاهبسم لماعلا ي ف ثدحتي تلا تاوادعلا لّك

،أقحـ .ةلأسملا هذه ىلع ةينبم ةيضقلا هذه ىلع ةينبم ص اخشلأاو دارفلأا نيب تاوادعلا لّك

،هينيع بصنـ ةحصلا لماكتا ةلأسم عضي نأ دغلا نم رزّق ،ماع لكشب ،ام ءيش نّأ ولـ ح بصتسـ فيك انيأرلـ هدحو هقبطي نم رسخيسف لاإو ،ضعبلا نود ضعبلا لا عيمجلاو .ثيداحلأا رود تسروحمّي أ لوحو ،تاقلاعلا

عقاولا ىلع ّيصخشلا مهفلا ضرف ءاد

كلّ هذا بسبب ماذا؟ بسبب أنّ الإنسان يفرض على الآخر ما يدركه هو بعقله الناقص، وتجربته الناقصة، وسعة صدره الناقصة، وفهمه الناقص. فيقول له: «أنت هكذا». بعبارة أخرى، يريد أن يطبّق «مقام الإثبات» (عالم الفهم) على «مقام الثبوت» (عالم الواقع). يريد أن يقول: «ما فهمته أنا هو الواقع بعينه، لم يتغيّر». فنقول له: «يا عزيزي، لعلّك أخطأت في مقام الإثبات، لعلّك أخطأت في ترتيب المقدّمات، لعلّ رأي هذا الرجل في القضيّة لم يكن هكذا».

!؟كلذكنوكين أ لقعيل هـ ،لا :لوقيف

.هملعو هّنسر بكم غر صخشئ طخي دق ؟لقعي لا اذامل ،معنـ

مل ةبرجتلا هذهب أصخشن أ لقعي لهف ؛دمع ن ع اذه لعف دقل ،لا :لوقنو نحن ي تأنف

؟تفتلي

.أنا حيانًا تفلت لا قد، معذ

هذه الوساوس تثير لديه الشعور بالذنب، وتجعله يقف موقف المدافع عن الأمر الذي لا يحتمل النقاش، وتدفعه إلى الانفعال والانتقال من الهدوء إلى الصراخ: «لقد أخطأ فلان» لا يتهيّأ لأحد أن يتفوّه بهذه الكلمة، ولا يتجرّأ على الاعتراض. ما ذنبه؟ بسبب خطأ واحد، بسبب هذا الشعور الكامل بالذنب، يتحمّل كلّ هذا التأنيب!

هل تنتهي الأمور عند هذا الخطأ الموضعي، أم تتعدّاه إلى تعميم الخطأ على الكلّ؟

الكلّ هكذا، والأمر نابع من نقصنا، المسألة ناتجة عن نقصنا وأننا لا نضع الأمر في محلّه الصحيح تماماً، وننسب إلى الآخرين ما فهمناه نحن فنقول: «أقسم بالله ورسوله، لم أفكّر عنك هكذا!».

لا، لقد فكّرت!

ما هو الحلّ الوسيط بين الظنّ والعلاج؟

بعد ذلك، تمرّ حياتنا، نمرّ مع الناس، نتعامل معهم أعداء لنا. هذه الفكرة الخاطئة تأتي من الإسلام الذي يوجّه المؤمن إلى أن يتعامل مع الكافر على أساس أنّه عدوّ له، وهذا ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: إنّ المؤمن إذا حمل حمل فقيه على الحسنة وإلّا فعلى السبعين، فإن في إيمانه خللاً أو نقصاً.[1] ولا نقول سبعين محملاً، بل محملين فقط! حملنا الفعل على محمل الصحّة في المرة الأولى، فرأينا أنّ الأمر لا يستقيم. فلنصعد درجة أخرى، ولنضع احتمالاً آخر. لو أنّ ابننا هو من فعل هذا الفعل، ألم نكن لنحمله على محمل الصحّة؟ لو أنّ أخانا فعله، لكنّا فعلنا، أليس كذلك؟ فالنفس تجيد ذلك، تجيد حمل الفعل على محمل الصحّة. كيف أنّنا إذا وقع الأمر من أخينا،

---

[1] **«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً»**

الأمالي الصدوق: ٢٥٠ /٨: الإمام علي (عليه السلام) **«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محتملاً»**.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٧٧ و ج ٩ ص ٧٢:

«ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محتملاً» (عليه السلام) -هذه

«إياك ومقارنة الأحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومقارنة الفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل من ذلك، وإياك ومقارنة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب» (عليه السلام) -هذه

«أيّما عبد مسلم اعتذر إلى أخيه المسلم بعذر فلم يقبل عذره، فإن لم يجد له عذراً التمس له عذراً فإن لم يجد له عذراً التمس له سبعين عذراً» (صلى الله عليه وآله) -رسول الله: ١٥ /١٩٧ /٧٥ **الحياة**:

«أيّما رجل اعتذر إلى أخيه فلم يقبل عذره، فإن لم يجد له عذراً التمس له عذراً فإن لم يجد له عذراً التمس له سبعين عذراً فإن لم يقبل عذره وكان المعتذر إليه مذنباً ألقى الله عليه مسكنة ولم يمت حتى يحتاج إلى أخيه وإن كان المعتذر إليه بريئاً كان له بسبعين عذراً ولم يمت حتى يستغني عن أخيه وإن كان أخوه فوق ذلك» الشيعة: عن الصادق (عليه السلام) ج ١٢ ص ١٩٦ عن **الخصال**: قال أبي بن كعب: إذا رأيتم أحداً من إخوانكم في الخصلة التي تنتقصونه منها، فوقروه وسدّوا خلّته، فإنكم لا تدرون متى تحتاجون إليه، وإن كان أخوكم فوق ذلك، فإن أطاعك على الإكرام فهو أخوك، وإن أبى عليك فأنت أولى بالإكرام منه

نبرّره جيّدًا: لم يستطع، حدث كذا وكذا، كان يريد أن يفعل كذا. أمّا إذا حدث الأمر من آخر، وقلنا له: «والله كانت قدمي مكسورة ولذلك لم آتِ». فيقول: «لا، ما هذا الكلام، أنت تكذب، أنت لم ترد أن تأتي أصلاً». هذه هي المشكلة، هذا هو المرض. يقولون عن فلان إنّه «بطيء التصديق»، وكم هو جيّد بطء التصديق! معناه أنّه لا يقبل كلّ ما يسمعه فورًا، وهذا صحيح. أمّا البعض فهم سريعو التصديق، يقبلون أيّ شيء من أيّ أحد، كأنّهم مجرّد جهاز تسجيل. لا يفكّرون في صحّة القضيّة أو فسادها. يا أخي، فكّر لخمس دقائق، تأمّل، لعلّ فكرته كانت خاطئة، لعلّه فهم الأمر بشكل مغلوط. بكلمة «عذرًا»، ينتهي كلّ شيء.

أهمّ أصل سلوكيّ: ترويض النفس على حُسن الظنّ

هذه من أهمّ المسائل السلوكيّة ومسائل تقدّم النفس وتكاملها في مراتب السير والسلوك.

فأن يمتلك الإنسان نفسَه طويلاً وهو أمر صعب ولكنّه ممكن، ويختلف باختلاف الناس، فيعوّدها على حُسن الظنّ، فإذا عوّدها في قضيّة، سيزداد توفيقه في القضيّة الثانية، حتّى يصل إلى مرحلة يطبّق فيها حالة حُسن الظنّ والنظر على جميع الأفراد. يطبّقها على جاره، وعلى شريكه في المتجر. يضع حُسن النظر أساسًا حتّى يثبت له العكس قطعًا، وحينها يتّخذ القرار المناسب.

نصيحة الحياة الزوجيّة: ثلثان تغافل وثلث عفو

لذلك، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في مسائل الأسرة أنّ ثلثي الحياة الأسريّة هو غضّ البصر[1]، أن لا ترى أصلاً. فلو أنّ الزوجة فعلت شيئًا والزوج علم به، فعليه أن لا يراه أصلاً. ولو أنّ الزوج فعل شيئًا والزوجة علمت به، فعليها ألّا تراه أصلاً. والثلث الباقي هو الإغماض والعفو. أي دع ثلثين على عدم الرؤية، والثلث الذي لا مفرّ منه، فضعه على العفو. وهكذا تنتهي المشكلة. لكنّنا لا نفعل! بل نسأل عن هذا وذاك، وننسب للشخص ما لم يفعله! فالنبيّ يقول لك لو فعل، فقل إنّه لم يفعل، ونحن ننسب له ما لم يفعله ونقول: «أنت

[1] **مستدرك الوسائل**، ج ٩ ص ٣٨ ح ١٠١٣٩: عن الإمام الباقر عليه السلام في وصيّته: **«واعلم، يا بنيّ، أنّ صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملء مكيال ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل»**

بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٢٤١. عن الإمام الصادق عليه السلام: **«صلاح حال التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل»**

نهج البلاغة، الكلمات القصار، الرقم ٢٢٢: عن أمير المؤمنين عليه السلام **«مِنْ اشْرَفِ اعمالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ»**.

غرر الحكم، ح ٩١٤٩: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: **«مَنْ لَمْ يَتَغَافَلْ وَلَا يَغُضَّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الامُورِ تَنَغَّصَتْ عِيْشَتُهُ»**.

بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٦٤: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً حديث يقول **«عَظِّمُوا اقْدَارَكُمْ بِالتَّغَافُلِ عَنِ الدَّنِيِّ مِنَ الامُورِ ... وَلَا تَكُونُوا بَحَّاثِينَ عَمَّا غَابَ عَنْكُمْ، فَيَكْثُرَ عَائِبُكُمْ ... وَتَكَرَّمُوا بِالتَّعَامِي عَنِ الاسْتِقْصَاءِ»**

غرر الحكم ٢٣٧٨: الإمام علي (عليه السلام) **«إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل»**.

فعلت، ونيّتك كذا وكذا». من الواضح أنّ هذه الحياة لن تدوم، وهذه الشراكة لن تدوم، وهذه الصداقة لن تدوم.

كيف نضع حُسن الظنّ موضع الخصوم؟

إذًا، أوّل وأهمّ أمر في السير والطريق هو أن يعوّد الإنسان نفسه ـ ولنبدأ بأنفسنا ولا ننتظر الآخرين ـ على أن تكون مسألة حُسن الظنّ هي الأساس. أذكر أنّه في مجلس ما قبل سنوات، حدثت قضيّة، وكان المسؤولون عن الأمر لا يتّفقون معنا كثيرًا. فجاءني أحدهم وأنا في قمّة وقال: «لقد شاركنا في هذا المجلس وحدث كذا وقيل كذا».

فقلت له: يا أخي، لماذا تسيء الظنّ؟ لعلّ الأمر كان كذا وكذا، ولعلّ الأمر كان كذا وكذا!

قال: لا، لا أبدًا. هذا هو الواقع.

قلت له: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لا نحسن الظنّ؟ لماذا لا نضع حُسن الظنّ موضع الخصوم؟ ما دمنا نستطيع أن نحمل الأمر على محمل الصحّة، فلماذا لا نفعل؟ إن كان العمل باطلًا لا يتلاءم مع الشريعة، فبسم الله. لو كان تبريرك صحيحًا، فأهلًا وسهلًا. أمّا إن كان تبريرك غير صحيح، فأنت لم تخطئ، وإن لم يكن صحيحًا، فلم ينقص منك شيء، وهو أدرى بحسابه. أمّا أن يكون عندما يقيّم الإنسان أن يعمل بتكليفه، فهنا يجب على الإنسان أن يعمل بتبرير يقيني، أو بتبرير ظنّي معتبر، أو بتبرير تطمئنّ إليه النفس، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الدنيا، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا وتترتّب عليه الآثار الإلهيّة والامتنانيّة، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا وتترتّب عليه الآثار الإلهيّة والامتنانيّة وتتوافر فيه الأهليّة، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا وتترتّب عليه الآثار الإلهيّة والامتنانيّة وتتوافر فيه الأهليّة وتتحقّق فيه النيّة، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا وتترتّب عليه الآثار الإلهيّة والامتنانيّة وتتوافر فيه الأهليّة وتتحقّق فيه النيّة وتتجرّد عن المنّة والاعتداد بالنفس، أو بتبرير تتوقّف عنه المؤاخذة في الآخرة والدنيا معًا وتترتّب عليه الآثار الإلهيّة والامتنانيّة وتتوافر فيه الأهليّة وتتحقّق فيه النيّة وتتجرّد عن المنّة والاعتداد بالنفس وتتّجه إلى الله، فأنت لم تفعل شيئًا مهمًّا، لأنّ الله يقول: «{وَمَا تُرِيدُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}»[1]. هذه هي التي تبرّر. لا تدع أحدًا يحبّ أن يعمل شيئًا لا يريده الله. هذه الحالة في النفس من الأنانيّة والحمق والغرور والاعتداد بالنفس وتضخّم الأنا هي التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة.

ما هو السبيل لكي نكون أكثر واقعيّة؟

كيف يربّي الله النفس؟ هل تستيقظ صباحًا فتجدها قد ترقّت؟ لا، بل يبتليك بهذه القضايا اليوميّة، يأتيك بكلام من فلان، وردّ فعلك إمّا أن يكون انحدارًا أو ارتفاعًا وصعودًا. فليست المسألة أنّنا نستيقظ كلّ يوم وقد صعدنا درجتين! إنّها هذه المسائل اليوميّة، في المنزل وخارجه، مع الصديق والشريك، هي التي تشكّل السلوك. طريقة تعامل الإنسان مع هذه القضايا هي ما يسمّى «السلوك». السلوك هو أن تصحّح علاقاتك مع الظواهر والأحداث الخارجيّة بشكل منطقيّ.

---

1. الإنسان: ٣٠/ ٧٦.

أباه لا ،ءاعدا لا ،أنآرق لا ،أدرو لا ،ليلة لا ،ارًكذ سيلك ولسلا :مكنّيمل

تاقلاطملا يّقطنملا حيحصتلا :هتلق ام وه ولسلا كلذ نم أيًّس ليل .ةينيسحتلا وأ دجسملا إلى

ةئامابلاثلا ةرشعلا تاهركشتلا يتلا رومألا هوجو ضعب ثدحتس يتلا ظاحلألا عم نسلإا

ةئامابلاثلا ةضيفلا نم ةئامابلاثلا ةعبرألا ،ذهبكلّ ،ظفلأ مهدحأ تعفصت ،ثمّ ةئامابلاثلا

،نمؤملا نظّلا تأدبأ ،ثمّ «الله لاإ هلإ لا» تلق ةئامابلاثلا ةعبرألا ،ثمّ ولو ءًاعبتم تمصلو

لضافلا كلذ .عدم احترام الكبير يضيع كلّ شيء ، وأكل الحقّ يضيع كلّ شيء .لكنّنا لا

،ملعملا يف نوشّعي ،مهو لحي لنا .كانه ولعفي نم لحي لهم ،ذهنمّإ لاإ بهذ الجانب .ذفنل

نوشلا نوؤرقي «الله ،يا الله» :نولوقي للّيلا يفمّث ،نوديري مبالسنا نع نوثدّحتي

ةعاسلا لسألا عدلا ءاعدلا لك أرقيفً لاجسم لّغشتن أ نكمي ،ًأيش لّكف يكل لا !نامضر يلا يف

!نّئمطنمّث .ةلم

فتاهّطخ ىلع نولتقي اوداك نيذلا ءاكرشلا ةصقّ

نوديقعي اوناك سانأ ىلع ةملاعلا موحرملا يدلاو عم يتلولف يف يسفنب أدهاشت نكد قلت

«لا إله إلا الله يا كناحبس» :نمؤمل نوتهي ،نوشلا نوجلا ءاعدلا ظافلحر شعل نوؤرقي ،ليلل تاعاسلا يف

نولتقي اوداك مهسفنأ ءلاؤه .اوملد نوميقي يتلا نوؤرقيل «...ثوغلا ثوغلا ،تنأ

ةءارقلا وه ولسلا نأ نّظم مهّلأ ؟اذامل .انني عأب اذه انيأر دقل !هذخأين أكدّأ ،يّ فتاهّطخ ىلع

.بهذتو نّجلا يف تشتّمثّ «ثوغلا ثوغلا» لوقتن أ وه ،ظفلحافظ رشعل

النصارى يفعلون شيئًا كهذا، يفعلون ما يحلو لهم طوال الأسبوع، ثمّ يذهبون يوم الأحد إلى غرفة الاعتراف. في سفري هذا الصيف، ذهبت إلى كنيسة عجيبة. قلت لأحد الرفاق مازحًا: «اذهب إلى تلك الغرفة وتب من أعمالك هذا الأسبوع حتّى تتطهّر!». وكان يوم أحد بالفعل، والمراسم كانت رائعة، لم نستطع الاقتراب، فكنّا نطهّر ذنوبنا من الخلف! هناك صندوق يجلس فيه القسّ، وكرسي آخر للمعترف، ومن نافذة صغيرة يسمع صوته، ويمرّر له بعض المال، حسب حجم زلّاته في ذلك الأسبوع فإن كانت كثيرة أخذ منه الكثير من الدولارات، وإن كانت قليلة اكتفى ببعض سانتات، وأحيانًا القسّ نفسه يساعد فتمحى الذنوب بسرعة! للأسف، نحن المسلمين ليس لدينا هذا، لا نعرف كيف نطهّر ذنوبنا بهذه الطريقة (مزاح)!!

رطخيام لوأ امص خشىلع نسلإا تّبثيّلأ وه ،سفنلا ةلاحلا أدجديف مرملأا اذهف

ضعبل رّكفلب ،ارًوفاهيف مكتلاف ،ةيضقك يلع تضرُع اذإ ةّنأ ةياورلا يف درو كلذل .بابلا

الوقت. لأنّ ما يُقال في البداية يكون لدينا انطباعاً أوليّاً، ولكن عندما يمرّ بعض الوقت، نجد أنّ تلك الشدّة والحدّة الأولى قد خفّت، ويمكن الجمع بين الأقوال.

قصّة الزوجين الغاضبين: حكمة التأجيل

نقل أحد الرفاق أنّه حدث خلاف بين زوجته، فاشتدّ غضبهما وقرّرا الذهاب إلى المرحوم العلّامة ليفصل بينهما ويُنهي الأمر. قال: فانطلقنا وكلّ منهما محمّل بكفّة الأسلحة والصواريخ، جاهز للإطلاق الناري بمجرّد أن يصلا إليه. جلسنا، وما إن دخل المرحوم العلّامة ونظر إلينا حتّى قال: "أنا لن أتحدّث اليوم، فاذهبا وعودا غداً". لا شيء آخر! قال: فنهضنا وخرجنا خائبين، وفي تلك الليلة نفسها حلّت القضيّة، ولم تصل إلى الغد. وعندما جاءا في اليوم التالي، قال لهما العلّامة: ما إن نظرت إليكما حتّى رأيت أنّكما في حالة لا تقبلان فيها الكلام. نفسها كنتما في حالة هجوم لا في حالة قبول واستفهام. فلو قلت إنّ الحقّ معها، لقلت أنت: كيف تقول هذا وهي فعلت كذا وكذا! ولو قلت إنّ الحقّ معك، لقالت هي: كيف تقول هذا وهو فعل كذا وكذا! فرأيت أن لا فائدة من الكلام والنصيحة، فقلت لكما: اذهبا. هذه الكلمة نفسها درس. لماذا قال اذهبا؟ ليعود كلّ منهما إلى نفسه. فعندما يذهبان ويجلس كلّ واحد في غرفته، يبدأ بمراجعة نفسه، فيصحّح أنّها فعلت ذلك، ولكن ما كان ينبغي لي أن أفعل كذا. وهكذا بعد ساعة أو ساعتين، تُحلّ المشكلة. وعندما يأتون في اليوم التالي، تكون النفوس قابلة للنصيحة، ويمكن للمرحوم العلّامة أن ينصحهما. هذه مسألة مهمّة جدّاً في الحياة، ألّا نأتي في الوهلة الأولى ونستنتج النتائج. بل علينا أن نصبر ونتأنّى، والله يساعد.

من هم "الأبرار المتفرّقون" في حياتنا؟

لا يمكننا أن نقول في الدعاء: «يا إلهي، أنا على يقين أنّك تعلم ما في داخلي»، إذ قد يقول قارئ القرآن: ﴿يُرِيهِمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ فهل يمكن أن نجهل الله ما في داخلنا؟ إنّه يقول في القرآن: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[1] فالرسول هو الذي أمامه ومن خلفه الرصد. "موقعاً" لم تروا مكاناً يشبهه في "موقعاً" والرصد يعني المكان الذي هو محلّ الاطّلاع، إنّه

[1] سورة الجنّ (٧٢) الآيات ٢٦-٢٧.

للمراقبة والرؤية؟! فالرصد هو محل "الرؤية". يعني أن الرسول عندما يقوم بحركة، فإنه يترك مصحوباً بـ"الرصد" و"الرؤية".

فإذا كان من المقرّر أن يطّلع أحد على ضميرنا ومكنونات خواطرنا، فمن هو؟ إنّه الله.

والله يعلم ما في "جعبتنا". وإذا ما احتلنا فهو يعلم. فلنكن صادقين مع الله. إن كنّا قد احتلنا على أيّ إنسان حتّى الآن، بنسبة واحد بالمائة، أو اثنين بالمائة، أو ثلاثين بالمائة فلنكن صادقين عندما نتجه إلى الله، دعونا لا نُبقي شيئاً لأنفسنا، لنكن صريحين مع الله.

وعندما نقول: "اللهمّ أصلِحنا"؛ فلنقلها بصدق. "اللهمّ أصلِحنا"؛ لا أن نقول: "اللهمّ أصلِحنا"، ولكن بالطريقة التي نريدها نحن، أن تخرج النتيجة هكذا". فهذا هو "الاحتيال على الله".

وعندما نقول: "إلهي، تعال حقاً وخُذ بيدنا"؛ فلا نأتي ونتحايل على الله. فيقول الله ماذا؟ "آخذ بيدك؟ اذهب وأنجز هذا العمل، بارك الله بك، ألا تريدني أن آخذ بيدك؟ فلماذا لا تنجز هذا العمل؟"

فنقول: "لا يا إلهي، تعال خذ بيدي، ولكنني أنا أيضاً لن أنجز هذا العمل".

ماذا يصبح هذا؟ هذا يصبح احتيالاً على الله. الله يعلم ما في جعبتنا. الله يعلم أننا لا نستطيع القبول. الله يعلم أننا نريد أن نتنصّل من الأمر. الله يعلم كلّ هذا.

ولكن رغم ذلك فإنّ الإمام السجّاد عليه السلام هنا يعرّف عن نفسه فيقول: يا إلهي، أنت تعلم ما في قلبي، وأنّه لا ربّ لي غيرك. ليتنا كنّا كذلك، لكنّنا لسنا كذلك. في وجودنا أرباب كثيرون: أخونا ربّنا وسندنا، أبونا ربّنا، فلان وفلان سندنا. نخطّط بناءً على هذا: فإذا حدث كذا نفعل كذا، فلان يدعمنا. حسنًا، لو لم يكن هؤلاء موجودين، هل كنت ستتحدّث مع الله بهذه الطريقة؟ فكّر جيّدًا، فجأة قد يأتي الله ويضرب كلّ هذه العلاقات التي في أذهاننا ويجعلها هباءً منثورًا. أحد أولئك الذين كنّا نثق بهم، لم يلتفت إلينا أصلاً، حتّى أنّه لم يكلّف نفسه عناء الالتفات ليقول: «لا شأن لي بك». لقد جرّبنا هذا، جرّبته أنا شخصيًّا. كأنّه لم تكن هناك صداقة دامت خمسة عشر عامًا! لقد أرانا الله ذلك بوضوح.

الآلية التي تكشف اعتمادنا على غير الله

قال الله: ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[1] وليس المقصود هنا الأصنام فقط، بل الأرباب الذين صنعتهم في ذهنك، العلاقات التي جعلت من كلّ واحد منها إلهاً، ومالت

1. سورة يوسف (١٢) الآية ٣٩.

ذهنك بهذه التوجّهات بدلاً من أن تخرج من منزلك صباحاً وأملك في الله وحده. فهؤلاء المساكين الذين تعتمد عليهم، هم أنفسهم معتمدون في أفعالهم على غيرهم، ولا استقلال لهم. غداً، عندما يرون أنّ وجودك أصبح مضرًّا لهم، يتركونك جانباً دون أدنى تأمّل.

قصّة المرأة التي تخلّى عنها المجتمع

كانت هذه الحالة استُشيرت فيها قبل سنوات. عندما فهمت المشكلة، نصحت تلك السيّدة قائلة: يا فلانة أنت تفعلين هذا على أمل أن يكون ذلك، وكلّ هذا خيال في ذهنك. هؤلاء يريدونك لأنفسهم، وإذا دار الأمر بين مضرّتهم وبين مضرّتك جانباً، فلم تتقنعي بكلامي، حتّى وقع الطلاق. لم يمرّ شهران، حتّى إنّ تلك المرأة التي كانت تحرّضها هي نفسها لم تسمح لها بدخول منزلها. الآن هي تلطم رأسها، ولكن بعد فوات الأوان. نحن جميعاً ﴿أربابٌ متفرّقون﴾ خيراً لهم أم الله الواحد القهّار﴾ الذي لا تكثّر في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله؟ هذا ما يجب التفكّر فيه ملياً، لأنّه الأساس الذي تنبني عليه التقوى والاختلاف، ألا وهو التوحيد.

قصّة محمّد الله المنان ودور الطاغية

هذه رواية قرأتها منذ زمن طويل عن المنان. عندما أراد الله أن يهلك ملائكته، قالت الملائكة بالغضب والقهر: يا ربّ، هذا هو الذي قام بتدمير كلّ إبراهيم وفعل ما فعل من الظلم! فجاء الخطاب للملك: ألا تذكر عندما كان هذا رضيعاً في سفينته، وكانت تتمايل به في البحر، فجاءت عاصفة حطّمت السفينة، فأمرنا الريح أن تهدأ، وحملت الماء الذي كان عليه إلى الشاطئ، ثمّ أمرنا حيتاناً أن يرضعه حتّى كبر، ثمّ أمرنا سفينة عابرة أن تلتقطه؟ هذا هو نفسه الذي نال الطغيان في ذلك الوقت. والآن هو يتمرّد علينا! هو نفسه الذي عندما أراد أن يضرب إلهه إبراهيم في السماء، أمرنا ملكاً أن يضع سكّة أمام سهمه حتّى لا ينكسر قلبه ويرى دمه! رحمة الله وعطفه لا تفرّق بين المنان وغيره، نحن الذين ندمّر أنفسنا بتشتّتنا وشقاقنا. المنان موسى وإبراهيم سواء، كلّهم عبيده. بالنسبة لله، فالمنان بأيدينا.

ما الفرق بين وحدانيّة الله ووحدانيّة الأعداد؟

ولكنّ الإمام السجاد عليه السلام يقول: يا إلهي، أنت تعلم ما في قلبي، وأنا على يقين من معرفتك بي، وأنّه لا ربّ لي غيرك، ولا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك.

هي بل ،"الوحدات" تلك هي التي أنت عليها ليست وحدة عديمة بجانب سائر "الوحدات"؛ وهذه "الوحدة" الحقّة: إنها وحدة "لا ثاني لها"؛ لا يوجد معها اثنان.

فنحن كلّ واحد منّا هو "واحد" بالعدد. واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، كل واحد هو "واحد"؛ "واحد"، "واحد": هذه الاثنان، والثلاثة، والأربعة، والخمسة، والعشرة، كلها هي ذلك "الواحد" نفسه. ليس لدينا شيء اسمه "اثنان"؛ وليس لدينا شيء اسمه "عشرة": لا وجود لـ "عشرة"؛ ولا وجود لـ "خمسة". كلّ ما له وجود في العالم هو "الواحد".

لا يكفي أن نعطيهم اسماً جديداً لكي "واحد" بجانب "واحد" آخر، فتطلقون عليهما اسماً واحداً على كليهما. فبدلاً من أن تقولوا: واحد، واحد، واحد، واحد، تكرّروا وتطلقوا اسماً جديداً، واحد، واحد، واحد، واحد، حسناً، ماذا تقولون؟ تقولون "خمسة" بدلاً من واحد، واحد، واحد، واحد، واحد. والإنسان لا يستطيع أن يقول مائة مرة: واحد، واحد، واحد... حتّى يصل إلى المائة. هذا صعب كذا! فلذلك يأتي الإنسان بلفظ "مائة" موجود، لقلة: واحد، واحد، واحد... حتى ننتهي من المائة.

لكننا نقول "مئة" بدلاً من واحد واحد. فإذا، هذه المائة والتسعون والخمسة والعشرة ليس لها وجود خارجي. الشيء الوحيد الذي له وجود خارجي هو "الواحد" فقط. لكنه "واحد" يتكرّر. إنّه يتكرّر في الأعيان الخارجيّة.

فنحن الآن «واحد»، ولكن كلّ خليّة من خلايا أجسادنا هي «واحد». ومليون خلية تشكّل إصبعًا، وعشرة ملايين تشكّل يدًا. وكلّها «واحد» بجانب «واحد».

أمّا الله فلا يمكن القول إنّه "واحد" آخر في قبالة "واحد"؛ لكن يوجد في الله موجود، وهو موجود حسنًا، أم لا يوجد؟! هل لله موجود آخر يغيره أن يمنعه؟! الله لا يوجد، لا توجد مقابل الله؟ فتفرّد بجانب الله.

لا شيء لله، أرضاً وسماء، فالسماء والأرض هما أيضاً لله؛ وإذا لا يوجد شيء اسمه "اثنين" لله. فلا يوجد في العالم، كلّه، أثر من آثاره. وكلّ ما تفترضونه في العالم عنه.

هذه يدي؛ هل الأمر غير ذلك؟ "واحد" هي "مجموع" من حيث المجموع هي يدي؟ ما هي يدي الآن، هذه "يد" له. وهذا "ضد" له، وهو الإصبع، باللسبة لهذا الإصبع؟ خمسة. هذا الإصبع، هو "ضد" له. كم عدد أصابعي؟ لكن

هذا ضدّه ومثيله. ولكن هل يمكن لهذا الإصبع أن يقول: 'أنا، في مقابل هذه اليد، 'واحد' قائم بذاتي'؟! لماذا لا يمكن؟ لأنّ هذا الإصبع هو "جزء" من هذه اليد. هذه "القبضة" أو اليد هي "واحدة" ووحدة واحدة، ولكن "أجزاء" هذه القبضة قابلة للعدّ وللمقارنة بالنسبة لأجزاء الأخرى. ولكن هذا "الجزء" نفسه (الإصبع) بالنسبة لمجموع القبضة، لم يعد قابلاً للعدّ كشيء ثانٍ، لأنه هو نفسه "يُشكّل" هذه القبضة. فهل اتّضحت الفكرة؟

الآن، هل أدركتم الفرق بين "الوحدة الحقّة" التي هي الوحدة "الأحديّة"؛ وبين "الواحديّة" التي هي وحدة "العدد"؛ العدد السار في "الأعيان" و"الأعيان الخارجيّة"؟

فنحن كلّ واحد منّا جميعاً هو "واحد" عددي، بمعنى أنّ "الآخر" هو أيضاً مثلنا. لذلك، الله يقول: عندما تذهب إلى الآخرين، فهم مثلك تماماً "واحد"؛ هو أيضاً "واحد". ذاك أيضاً "واحد"؛ كلّ منكم هو "واحد". كلكم لديكم نفس الخصائص.

اذهبوا نحو "واحد" ليس له "ثانٍ". اذهبوا نحو "واحد" لا يمكن لذات أخرى أن تستعرض نفسها في قبالته. اذهبوا نحو "واحد" يمتلك "الغنى" في وحدته، لديه "غنى ذاتي". اذهبوا إليه.

الإمام السجاد (عليه السلام) يقول: هذه المعرفة موجودة في وجودي.

الآن، إن شاء الله، الفقرة التالية: "اللّهُمَّ أَنْتَ الْقَائِلُ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ..." إذا وفّق الله، إن شاء الله، لليلة الغد.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ